مَدَارِجُ التَّفَقُّهِ فِي المَذهَبِ المَالِكِي

(برنامجٌ دراسيٌّ وسُلَّمٌ تعليميٌّ مُقترح)

إعداد:

نَايِف بن عبدِ الرَّحمن آل الشَّيخ مُبارَك

فقّه نفسك

في المذهب المالكي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصّلاة والسَّلامُ علىٰ سيّدنا محمدٍ، وعلىٰ آله وصَحبه أجمعين، وبعدُ:

فهذا برنامج علمي، ومنهج دراسيٌّ مقترح للتفقّه في المذهب المالكي، مقسم على ثلاث مراحل، وضعته للاسترشاد، فكثيرًا ما يسأل طلبة العلم المالكية وغير المالكية عن السلّم الذي ينبغي سلوكه عند دراسة المذهب، وما هي الكتب المعتمدة في التدريس، أو الشروح المفضّلة عند المراجعة والتحضير.

فأردت أن أضرب بسهم في هذا الجانب، مع قلة البضاعة، وضعف الخبرة، فمثل هذه البرامج والمناهج ينبغي أن توضع ممّن عرف كتب المذهب وكان لتدريسها مجرّبًا، وبها خبيرًا، ولستُ من أولئك، غير أني كنت -ولا زلتُ- منذ سنيّ الطلب الأولى أتلمس وضع برنامج علمي للتفقه في المذهب، وأسترشد بالمناهج المعتمدة في المعاهد الشرعية المختلفة بالمشرق والمغرب، في المؤسسات الرسمية وغيرها، وأستنير برأي المشايخ المجربين، وطلبة العلم السالكين، إضافة إلى التجربة الشخصية المتواضعة.

لذلك جاءت هذه الإضاءات في بيان المدارج للتفقه في المذهب المالكي من خلال جوانبه الثلاثة: (أصول الفقه، والفقه، والقواعد الفقهية)، إضافة إلى بعض الكتب المنهجية والتعريفية.

وقبل أن أشرع في المقصود، أنوه إلى بعض الأمور:

١. المنهج إرشادي، فبعض العلوم والمتون تخضع للشيخ المدرِّس، فإن قرر كتابا آخر مقاربا فالمقصد واحد.
٢. لم أرغب في تكثير المتون في المستوى الواحد، رغم تقارب كثير منها، لذلك سأقتصر على كتاب مختار، وهناك كتب وضعت بجانبها كلمة: (اختياري) وهي تعني أن الكتاب مساوٍ لما ذكر معه في المرحلة، أو أنه يقرأ لمزيد التوسع في التخصص.
٣. المتون والعلوم المذكورة يصحبها في كل مرحلة كتب (علمية أو منهجية) لا بد من قراءتها بصفة فردية، فهي توسع المدارك، وتصقل شخصية طالب العلم، وتزيد من ثقافته.

٤. هذا المنهج يقدّم تصورًا أوليا، ونظرة شاملة لمدارج التفقه، وهو مبني على أن طالب العلم حينما يتقدم في الطلب، وينتقل لمرحلة أخرى، سيكتسب معرفة بما يتعلق بكتب المذهب ومتونه، وأعلامه ومؤلفاته، ما يغنيه عن كثرة التفصيل والاقتراح لما ينبغي له أن يقرأه أو يطلع عليه.
٥. طلب العلم لا ينال إلا بالقراءة على العلماء، وثني الركب بين يدي الفقهاء، مهما أوتي الإنسان من قدرات، وما ناله من فطنة وذكاء، فإن العلوم الشرعية لا بد فيها من الإسناد (أي: القراءة على العلماء).
٦. أخيرا، لا بدّ أن يعلم طالب العلم أن العلم فتحٌ من الكريم الوهاب، وهو نور يضعه الله في قلب من شاء، كما ذكر إمامنا مالك ﵁، وأن العلم لا بدّ له من الهمة العالية، والتفرغ وتوجيه الهمّ والهمة، فلا يكتفي طالب العلم بما في هذا المنهج، بل يسعى من خلال ترقّيه وسعة اطلاعه لتوسيع دائرة تعلمه وقراءته، والله الموفق، وهو الهادي والفتّاح والوهاب.

مدخل وتنبيه

وأريد في هذا المدخل التنبيه على إشكالات يطرحها كثير من الطلبة، تتلخص في قضيتين: لماذا التدرج والتنقل بين المستويات؟ ولماذا نلتزم ببعض المتون دون بعض؟

- **لماذا التدرج؟**

أما التدرج والترقي فهو سمة أساسية في العلوم، وعملية ضرورية لأي طالب، يشرع في دراسة علم من العلوم، والبدءُ بالمتون الصغيرة، المحتوية على المسائل القليلة مقصد منهجي لدى علمائنا، حرصوا من خلال ذلك على تقديم شيئين: التصور الشامل لمباحث ذلك العلم ومسائله، من خلال النظرة الإجمالية، إضافة إلى معرفة ما لا بدَّ منه من ضروريات ذلك العلم.

يقول الإمام الغزالي مؤكّدا ذلك في مقدمة مستصفاه: «وَجَمَعْتُ فِيهِ بَيْنَ التَّرْتِيبِ وَالتَّحْقِيقِ، التَّرتِيبُ لِلحِفْظِ، والتَّحْقِيقُ لِفَهْمِ الْمَعَانِي؛ فَلَا مَنْدُوحَةَ لِأَحَدِهِمَا عَن الثَّانِي، فَصَنَّفْتُهُ وَأَتَيْتُ فِيهِ بِتَرْتِيبٍ لَطِيفٍ عَجِيبٍ، يَطَّلِعُ النَّاظِرُ فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ عَلَى جَمِيعِ مَقَاصِدِ هَذَا الْعِلْمِ، وَيُفِيدُهُ الِاحْتِوَاء عَلَى جَمِيعِ مَسَارِحِ النَّظَرِ فِيهِ، فَكُلُّ عِلْمٍ لَا يَسْتَوْلِي الطَّالِبُ فِي ابْتِدَاءِ نَظَرِهِ عَلَى مَجَامِعِهِ وَلَا مَبَانِيهِ فَلَا مَطْمَعَ لَهُ فِي الظَّفَرِ بِأَسْرَارِهِ وَمَبَاغِيهِ».

فأي سالك مبتدئ في العلم يتجاوز مرحلته ويقفز لأخرى سيبذل جهدًا مضاعفًا لإتقان كتاب يحتوي على مسائل أكبر وأكثر من الكتاب المقرّر في المرحلة السابقة له.

فمن درَس العشماوية وهي من أوائل الكتب المقررة ولنفترض أنها تحتوي على (١٠٠٠ مسألة فقهية) على سبيل المثال، حينما يرتقي لكتاب أكبر يحتوي على (١٠ آلاف مسألة) سيجد مسائل العشماوية الألف حاضرة لديه، ومتصوّره عنده، مما يفيده من جانبين: تأكيد وترسيخ هذه المسائل التي لم تكرر إلا لأهميتها، والراحة بعدم بذل جهد جديد لاستيعابها.

وهكذا الشأن في بقية العلوم والفنون.

غير أني أنبه إلى أن ما سبق من بيان أهمية التدرج، لا يعني الالتزام بذلك حرفيًّا، فبعض العلوم قد يكون الطالب درسها إجمالا أو إيجازا، أو من خلال كتاب مقاربٍ، وتكونت لديه صورة لتلك المسائل، أو يتوجه البعض لطلب العلم وهو في سنٍّ متقدمة، وعقلية ناضجة تعينه على تجاوز تلك المراحل.

- **لماذا المتون؟**

وهذا السؤال يتناول قضية محددة، وهي: **لماذا الإصرار على دراسة بعض المتون التي ألفت قبل قرون؟** رغم تأليف كتب بعدها قد تتميز عليها، وتتجاوز بعض الانتقادات الموجهة لها.

للإجابة عن هذا، لا بدّ أن نعلم أولا وقبل كل شيء أن هذا الأمر مما يفتح الله تعالى به ويوفق من شاء من عباده، فنجد بعض الكتب ذائعة الصيت، منتشرة القبول، وفي زمانها أو قبله أو بعده كتب أثنى عليها العلماء كثيرا ومع ذلك لم تعتمد من الناحية المدرسية.

ثانيًا: وهو الجانب الأهم أن اعتماد الكتب والمتون رهينٌ بما يتبعه من خدمة واعتناء، كالشرح والتعليق والتحشية، إذ إن عامة المتون تعتمد عادة بما يرافقها من الأمور السابقة، مما أسهم في تنقية شوائبها وتصحيح أوهامها، وبيان أخطائها، وضبط عبارتها، ودرء التعارض بينها وبين ما يقابلها من متون أو روايات.

فما يقع في الكتب الفقهية -خاصة المتون والشروح- من قصور من المؤلف في عرض المسألة أو بحثها، أو تقديم صورها، وشروطها ومحترزاتها، يتصدى له من الشراح من يكمل هذا النقص، بذكر التفريع، أو إبداء التوضيح، أو التذييل بالتتمة أو التنبيه، ويكون في ذلك إضافة فقهية ذات قيمة علمية، ينتج عنها هذا التكامل الذي كان من أسباب اعتماد بعض الكتب دون بعض، أو بعض الشروح دون الآخر.

ثالثًا: أن بعض المتون خاصة -كتب المتأخرين- وإن كانت صعبة العبارة، إلا أن فيها جوانب ميزتها عن غيرها، وكانت سببا في اعتمادها من جهتين: أن هذه الكتب تحتوي على ما انتهى إليه المتأخرون من المفتى به في المذهب، أو ما استقر عليه المتأخرون في قواعد العلم ومسائله، إضافة إلى احتوائها واستيعابها جلّ المسائل والتفريعات المتعاقبة من خلال أطوار العلم المختلفة. (التأسيس والتطور والاستقرار).

فليس من المقبول -منهجيا- أن ينادي البعض بالرجوع إلى مدونة سحنون، أو مدارسة البيان والتحصيل، لكونهما أسهل عبارة، وأقل تعقيدًا، وترك مختصر الشيخ خليل، وهو أكثر استيعابا للفروع، وأضبط لما استقرت عليه الفتوى، وقل مثل ذلك في بقية العلوم.

المرحلة الأولى:

هذه المرحلة تأسيسية بالدرجة الأولى، يتلقى فيها الطالب أساسيات العلم فقط ومهمات الكتب، لتتكون لديه صورة كاملة عن مباحث العلم، ويتعلم الضروري منه، على النحو التالي:

البيان:

العلم	المستوى الأول	المستوى الثاني
الفقه	متن العشماوية	نظم ابن عاشر*
أصول الفقه	نظم ابن أبي كف (حفظ)	قرة العين للحطاب
القواعد الفقهية	القواعد الخمس الكبرى	

التفصيل:

- **متن العشماوية**: أحد المتون المختصرة، والتي كتبت بعبارة واضحة، وهو المتن المعتمد لدى المشارقة في أول السلم التعليمي، يحتوي على أهم أبواب الطهارة والصلاة، بالإضافة إلى أحكام الصيام. للتحميل:

شروحه: له عدة شروح، من أحسنها شرح العلامة ابن تركي، وعليه حاشية الإمام الصفتي، وهي حاشية نفسية جدا. للتحميل:

- **نظم ابن عاشر**: مكون من ٣١٤ بيتًا، ويحتوي على مقدمة موجزة في العقيدة، وأبواب العبادات: (الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج)، وخاتمة في الأخلاق والآداب.

شروحه: أبرز شروحه شرح العلامة ميارة، تلميذ الناظم، وله شرح كبير، للتحميل: واختصار للكبير. للتحميل:

ملحوظة: سيأتي في المستوى الثاني نظم شامل لأبواب الفقه كلها، والمنظومات وسائل لا مقاصد، فمن كان من طلبة العلم يريد الاكتفاء بحفظ العبادات فقط، فهذا النظم كافٍ، خاصة مع شروحه التي تمّمت كثيرا من الفروع التي لم تذكر، وتعرضت لعدد من مسائل المذهب الهامة، وإلا فالمنظومات الأخرى تستوعب تلك المسائل وزيادة.

*وإذا كان كذلك، فلطالب العلم أن يتجاوز ابن عاشر، ويدّخر جهد فكّ النظم وحلّ العبارة لمتن منثور، إما بتكرار قراءة العشماوية مع شرحها والتدقيق في حاشيتها (وهو الأولى)، أو بقراءة متن جديد مساوٍ كالأخضري، أو العزية، ونحوهما، **خاصة في مرحلة التلقين التي يفضل فيها إعادة المتون لضبطها**، وإلا فلينتقل لكتب المرحلة الثانية.

- **نظم ابن أبي كُف**: نظم موجز جدا، من (٣٠ بيتًا) فقط، يعرض أصول المذهب، دون تناول للقواعد الأصولية، فهو مناسب في هذه المرحلة لتكوين صورة شاملة عن الأصول التي تميز بها المذهب، خاصة إن استعين بشروحه، كشرح العلامة الولاتي، للتحميل: وشرح الأخ الفاضل الدكتور امحمد العمراوي من علماء القرويين، وهو مطبوع في فاس.

ويمكن أن يستعان في هذه المرحلة بالبحث النفيس الذي كتبه شيخي العلامة محمد التاويل رحمه الله: خصائص المذهب المالكي. للتحميل:

- **قرة العين بشرح ورقات إمام الحرمين**: أما الورقات فمتن غني عن التعريف، وله شرح نفيس للإمام المحلي الشافعي، أفاد منه الإمام الحطاب، وزاد عليه كثيرا، وتعرض لرأي المذهب في بعض القواعد أو الفروع المندرجة تحتها. للتحميل:

وقد يزاد (اختياري) في هذه المرحلة لعلم الأصول كتاب الحدود للإمام الباجي، فقد عرض فيه لجملة من المصطلحات، وتناول في مثانيها بعض المسائل الأصولية. للتحميل:

- **أما القواعد الفقهية**: ففي ذيل نظم ابن أبي كف ذكر للقواعد الخمس الكبرى، فيكتفى في هذه المرحلة بما فيها، وما تعرض له شراحها.

كتب إضافية للقراءة:

- **مسائل لا يعذر فيها بالجهل على مذهب الإمام مالك.**

والكتاب نظم للشيخ بهرام تلميذ الشيخ خليل، شرحه العلامة الأمير، رحم الله الجميع. للتحميل:

والمقصد الأهم هو **المقدمة التي وضعها محقق الكتاب الشيخ إبراهيم الزيلعي** ﷺ، فقد حوت أهم المصطلحات الخاصة بالمذهب، وكذلك فيها جدول يجمع أبرز فقهائه، وسنة وفاتهم، ومكان دفنهم.

- **صفحات من صبر العلماء، وقيمة الزمن**: وهما للشيخ عبد الفتاح أبوغدة رحمه الله.

وفيهما قصص كثيرة، ومواقف وعبر تشحذ همة طالب العلم نحو الطلب.

المرحلة الثانية:

هذه المرحلة تأهيلية، يتلقى فيها الطالب كتبا أكبر مما سبق، ويتمكن أكثر بالتوسع في تلك العلوم، على النحو التالي:

❁ البيان:

العلم	المستوى الأول	المستوى الثاني	المستوى الثالث
الفقه	تدريب السالك أو: الرسالة	نظم أسهل المسالك (حفظ)	
أصول الفقه	تقريب الوصول لابن جزي أو: مفتاح الوصول للتلمسانى		شرح تنقيح الفصول للقرافي
القواعد الفقهية	تطبيقات قواعد الفقه عند المالكية من خلال كتابي إيضاح المسالك وشرح المنهج المنتخب للغرياني.		

❁ التفصيل:

- **تدريب السالك أو الرسالة (اختياري)**: أما تدريب السالك فهو أحد المتون المعتمدة ، يحتوي على جُلِّ أبواب الفقه من كتب العبادات والنكاح والمعاملات، اختصره العلامة الشيخ عبد العزيز بن حمد آل الشيخ مبارك من متن أقرب المسالك للعلامة الدردير، فميزته تأتي من ميزة أقرب المسالك، والذي هو اختصار لمختصر خليل. للتحميل

شروحه: له شرح واحد موسع للعلامة الشيباني الشنقيطي، لكنه يعتني بالخلاف العالي أكثر من عنايته بفك العبارة. للتحميل كما أن له شرحًا في اليوتيوب، لشيخ المدرسة المالكية في الأحساء، شيخي د. عبد الحميد آل الشيخ مبارك.

أما الرسالة، فهي متن غني عن التعريف، محسوس البركة كما يذكر الفقهاء ببركة دعاء مؤلفه، وهو أحد أئمة المذهب ومحرريه، له عدة شروح، من أهمها شرح أبي الحسن وعليه حاشية الإمام العدوي، للتحميل وكذلك شرح النفراوي، للتحميل وشرح الشيخ زروق. للتحميل

- **نظم أسهل المسالك للشيخ محمد البشار**: مكون من ١١٤٧ بيتًا، ويحتوي على مقدمة في العقيدة، وجميع أبواب الفقه، وخاتمة في الأخلاق والآداب.

تأتي ميزة هذا النظم من جهات: أولها أنه يسير على المفتى به غالبًا، ومرتب بترتيب أبواب المختصر، بل إن عددا من أبياته تشبه ألفظها عبارات المختصر تماما، كما أنه شامل من جهة العبادات والنكاح وغالب الجنايات لأهم المسائل، وفيه اختصار شديد لأبواب المعاملات.

شروحه: أبرز شروحه شرح الشيخ الجعلي (سراج السالك)، وشرح الشيخ باي بلعالم (زاد السالك).

والسادة الشناقطة يعتون بنظم الكفاف، وهو نظم مميز، لمن أراد استبداله بالأسهل.

هناك منظومات أخرى، قد تقارب الأسهل في عدد الأبيات، أو تأتي بمقدار ضعفه، أو ضعفيه، غير أنها لم تشرح أو لم تطبع شروحها، لذلك لم أشر إليها. وكذلك مما يعتني به المغاربة وإن خلا هذا النظم من العبادات: (تحفة الحكام لابن عاصم)، وهي منظومة شهيرة، في نحو: (١٧٠٠ بيت)، ومن أبرز شروحها شرح التسولي البهجة .

- **تقريب الوصول**: وهو كتاب بديع مميز، بعبارة موجزة واضحة، والإمام ابن جزي من المبدعين في التصنيف والترتيب، وليست له شروح مطبوعة.

- **مفتاح الوصول**: وهو كتاب فريد، اهتم فيه مؤلفه ببناء الفروع على الأصول، والشريف التلمساني لا يعتني بتقرير القواعد غالبا، لذا لا بد أن يسبق دراسته بعض الكتب لتعطي تصورا قبل الشروع فيه.

شروحه: **شرح العلامة مولود السريري**، أحد فقهاء سوس المبرزين بالمغرب الأقصى.

- **شرح تنقيح الفصول**: وهو أحد عمد كتب الأصول في المذهب، فتقريب الوصول لابن جزي أفاد منه كثيرا، وكذلك نظم مراقي السعود الآتي ذكره في المرحلة الثالثة.

ولمن لم يستطع دراسة الكتب الثلاثة، له أن يجعل شرح تنقيح الفصول مرجعًا للتحضير والاستعداد لكتاب تقريب الوصول.

شروحه: شرح العلامة الشوشاوي، وهو محقق ومطبوع، والشرح وإن كان لمتنه (التنقيح) إلا أن شرح التنقيح للقرافي مضمن فيه، وزاد عليه الشوشاوي في البيان والتوضيح كثيرا، بعبارة واضحة سهلة خالية من التعقيد.

- **تطبيقات الغرياني**: كتاب معاصر، جمع محتويات عدة كتب في القواعد الفقهية بالمذهب، يعرض القاعدة، ويسرد ألفاظها المختلفة، ثم يذكر فروعها، ويختم بمستثنياتها.

الكتاب ملائم لمثل هذه المرحلة، وقد يستعان ببعض الكتب المعاصرة التي تعطي تصورًا أشمل وأكمل عن علم القواعد، كنظرية التقعيد للدكتور الروكي، والقواعد الفقهية للدكتور الباحسين أو الدكتور الندوي. **فمتون القواعد بالمذهب لا تتعرض لهذه المقدمات**.

كتب إضافية للقراءة:

- **اصطلاح المذهب عند المالكية، للدكتور محمد إبراهيم علي** ﷺ. وهو من أميز وأفضل ما كتب عن هذا الجانب في المذهب، رغم أن مؤلفه حنفي، تعرض فيه لنشأة المذهب وأطواره، وكتبه وأعلامه، ومصطلحاته ورموزه، والكتب المعتمدة والشروح المنتقدة، **فهو موسوعة متكاملة**.
- **ترتيب المدارك للقاضي عياض**. وهو موسوعة تاريخية في أعلام المذهب، قدّم له في مجلد كامل حافل بترجمة للإمام وعمل أهل المدينة، وفي ثنايا الكتاب فوائد لا يستغني عنها طالب العلم.
- **مباحث في المذهب المالكي**. للدكتور عمر الجيدي ﷺ.

المرحلة الثالثة:

هذه المرحلة تأصيلية، يتلقى فيها الطالب كتبا أوسع مما سبق، فيها تمكين وتأصيل، على النحو التالي:

البيان:

العلم	المستوى الأول	المستوى الثاني	المستوى الثالث
الفقه	أقرب المسالك	مختصر الشيخ خليل	
	دراسة بعض المعاملات المالية المعاصرة والنوازل المستجدة وفق أصول المذهب*		
أصول الفقه	نظم مراقي السعود (حفظ) أو: متن جمع الجوامع		
القواعد الفقهية	المنهج المنتخب (حفظ)		

التفصيل:

- **أقرب المسالك:** هو المتن الفقهي المعتمد لدى المشارقة والمغرب الأدنى، اختصره العلامة الدردير من مختصر الشيخ خليل، واستدرك المسائل التي بين الشراح أنها ليست على المفتى به، أو العبارات المعترض عليها، ورجح المسائل التي توقف فيها، ونحو ذلك.

شروحه: شرح مؤلفه العلامة الدردير، وحاشية تلميذه الصاوي، وكلاهما اختصر من أصل هذا الكتاب، فالدردير شارح خليل، والصاوي اختصر حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ومن هنا تبرز أهمية الكتاب.

وللكتاب شرح مرئي، يشرحه شيخي د. عبدالحميد آل الشيخ مبارك[1].

في هذه المرحلة **ينبغي على الطالب الترقّي بمعرفة أدلة المسائل والتبصّر بمآخذ الأحكام**، ومن أميز الكتب التي اعتنت بالاستدلال: كتاب معاصر أعاد صياغة الشرح الصغير، ودلل على مسائله بما في كتب المذهب، للشيخ الحبيب ابن طاهر نفع الله به.

(١) بلغ الشيخ حتى كتابة هذه السطور (فرائض الصلاة)، والدروس الجديدة ترفع تباعًا كل أسبوع، يسر الله إتمامه.

- **مختصر الشيخ خليل**: هو كتاب الفتوى في المذهب، ومعتمد المتأخرين في ذلك وفي التدريس لمثل هذه المرحلة، حوى المسائل والفروع التي سبقته في أمهات المذهب ومتونه، والشيخ خليل لم يكن سوى ناقل أمين لما سبق، فلم يرجح من تلقاء نفسه، وإنما كان ينسب هذه العلمية لأصحاب الاختيار ومحرري المذهب، وما لم يقف فيه على ترجيح لتساوي الأقوال توقف وعرض القولين المتساويين، مع كونه قد يرجح إحداهما في شرحه على جامع الأمهات، فنعلم من هنا دقته وأمانته في نسبة الأقوال للمذهب.

شروحه: الشرح الكبير للعلامة الدردير وحاشية الدسوقي عليه، فعلى هذا الشرح المعوّل في التدريس والسَّرد، وعليه المعول في الفتوى إذ إنه جمع ما في الشروح التي قبله.

وشروح الكتاب كثيرة، ومن هذا الكثير عددٌ من الشروح مميز، للاستزادة والإفادة، كشرح المواق، وشرح الحطاب، وشرح الزرقاني والذي يمتاز بكثرة التفريعات وحاشية بناني وحاشية الرهوني والتي تميزت بالنقد والتحرير كثيرا، وشرح الخرشي بحاشية العدوي عليه.

- **نظم مراقي السعود**: أحد المنظومات الحاوية لأصول الفقه، أفاد أصل مادته العلامة العلوي الشنقيطي من جمع الجوامع، وزاد عليه كثيرا من كتب المذهب، سواء في نظمه أو شرحه، فهو بهذه الخاصية يقدّم للطالب المالكي تصورًا شاملا لأصول الفقه، مع تبيين رأي المالكية في بعض القواعد أو المسائل.

- **شروحه**: شرح ناظمه (نشر البنود)، وهناك شرح قيد الطبع للعلامة الفقيه شيخ المحظرة النباغية الشيخ محمد فال، متّع الله به، نسأل الله تمام إخراجه، فيه إضافات وزيادات كثيرة.

وفي هذه المرحلة إن استطاع الطالب أن يجمع بين النظم في الدراسة ثم يثني بجمع الجوامع، فهو المطلوب والمرغوب، فجمع الجوامع عمدة المتأخرين بشرح المحلي وحاشية بناني عليه.

- **أما القواعد الفقهية**، فالمتن المعتمد لدى كثير من المتأخرين هو نظم الزقاق (المنهج المنتخب ٤٤٣ بيتًا)، وشرح المنجور عليه. وقد وضع العلامة ميارة تكميلا عليه ضمنه جملة من قواعده وزاد عليه كثيرا، بل وشرح بعض القواعد في النظم، وقد بلغ في نسخة السجلماسي: (٨٦٣ بيتًا).

والمنهج المنتخب معتصر العبارة موجزها خاصة في جانب الفروع التي يمثل بها للقاعدة، فلذلك كان من المناسب تقديم كتاب د. الغرياني عليه، وبعض الكتب التي تقدم تصورا عن القواعد.

ويستعان في هذه المرحلة في علم القواعد: بكتاب الإمام القرافي الفروق، وهو أشهر كتبه على الإطلاق، جليل القدر، عظيم النفع، لم ينسج على منواله. **أو مختصره للعلامة البقوري.**

🕮 كتب إضافية للقراءة:

- **في هذه المرحلة المتقدمة** لا بد لطالب العلم أن يتوجه لحفظ أحاديث الأحكام، وله في الموطأ لإمامنا مطلب وغنية، وشرح الإمام الباجي عليه من أبرز الشروح التي اعتنت بكثرة تعليل الأحكام والفروع. ومن بين شروح الموطأ الموسعة المميزة، (أوجز المسالك للعلامة الكاندهلوي) والشرح إن لم يكن لفقيه مالكي، إلا أن قراءته تقوي ملكة طالب العلم في عرض الخلاف بين المذاهب، وفيه ميزة أخرى أن مؤلفه كان يذيل شرحه بنص الدردير وحاشية الدسوقي من مختصر خليل، لذلك تتكون لدى القارئ صورة تاريخية لمسيرة المسألة في مراحل المذهب.
- **كذلك يعتني طالب العلم بشروح أحاديث الأحكام الأخرى**، خاصة شروح الإمام ابن دقيق العيد.
- **أما تفسير آيات الأحكام، فأحكام القرآن للإمام ابن العربي، والجامع للقرطبي.**
- **العناية بكتب النوازل والفتاوى**، فهي تكوِّن لدى الطالب صورة أخرى للفقه وذلك من خلال الفتيا في آحاد المسائل وكذلك بالتعرف على منهج العلماء في تطبيق القواعد والكليات على الجزئيات.

ومن أبرز هذه الكتب فتاوى الإمام ابن رشد، والبرزلي، ومعيار الونشريسي، وفتاوى الشيخ عليش.

* في هذه المرحلة الثالثة، وبعد أن طوّف طالب العلم في كتب المذهب ومدارج التفقّه فيه، فقه وأصولا وقواعد، وتكونت لديه من خلال الدراسة والقراءة مكنة علمية، وملكة فقهية، لا بد منه، ولزاما عليه أن يبدأ بالنظر في نوازل عصره، والتعرف على مستجدات وقته، وذلك يكون من خلال عدة أمور، **من بينها:**

- حضور المؤتمرات والندوات العلمية، في الفقه عمومًا، أو بعض قضاياه خصوصا، وقراءة بحوث وقرارات المجامع الفقهية المختلفة، ففيها عرض لهذه النوازل، وتكييفها، وتنزيلها على القواعد أو الأشباه من المسائل، خاصة في العقود والمعاملات المالية المعاصرة.

إضاءات وإرشادات
حول طلب العلم ومنهج الدِّراسة

أختم هذه المدارج ببعض الإضاءات والإرشادات، التي تعين طلبة العلم، وتختصر لهم السبل، على سبيل المناصحة وتبادل التجارب كما يقال، وأصدّرها بالنصيحة الذهبية التي بينها الإمام زرّوق رحمه الله حينما بيّن آلات العلم:

١. شيخٌ فتّاح.
٢. وعقل رجّاح.
٣. وكتب صِحاح.
٤. ومداومة وإلحاح.

أما الشيخ الفتّاح: فقد بينت ذلك في طليعة هذه المدارج، وأن الإنسان مهما أوتي من قدرات وطاقات، وذكاء فطنة لا بدّ له من شيخ يقرأ عليه، ويحصل له الفتح بين يديه، لأن هذا العلم الشرعي دينٌ، لا يحصل إلا بالإسناد، ومن الشيوخ من هو شيخ علمٍ يحصل للطالب علي يديه علم كثير، ومنهم من هو شيخ فتحٍ، يفتح الله تعالى على يديه في هذا الفن السبل والطرق وإن لم يقرأ عليه كثيرا، وكلاهما مجرب، ومنهم من يجمع بين الصفتين، ويحقق المطلبين.

وأما العقل الرجّاح: فهو العقل العلمي البصير الناقد المتأمل، وهي ما يعبّر عنه العلماء بـ«فقه النفس»، وهي هيئة أو صفة راسخة في النفس، تجعل العلمَ لدى صاحب الملكة سجية تكيّفت بها نفسه، وصار من خلال هذه الملكة والقريحة والسليقة ينفذُ رأيه ونقده للصواب ودقة النظر.

فالعلمُ كما يعرّفه العلماء في مقدمات الكتب عند الحديث عن التعريفات أحد ثلاثة أمور: (الإدراك، والقواعد، والملَكة)، والملكة إنما تتكون من وفرة الإدراك، واستحضار القواعد، فهي ثمرة لما قبلها، بعدما يبلغ تمامه.

وأما الكتب الصحاح: فأحسب أن ما ذكر في المدارج كله منها، فإن العلماء قديما يحذرون من الكتب التي لم تحرر ولم تنقح، وقد بينت مزايا كل كتاب مما سبق ذكره في موضعه، ومكانته وبيان صحته.

وأما المداومة والإلحاح: فهي ما أريد بيانه وتقريبه، وعرض بعض النصائح المتعلقة به.

وقد ذكرت كتابين هامين من بين الكتب التي ينصح بقراءتها ضمن المدارج السابقة، وهما كتابا الشيخ الجليل والعالم النبيل عبد الفتاح أبو غدة ﷺ، رغم كون الكتابين لا علاقة لهما بالمادة الفقهية، إلا لمثل هذا الغرض، فقد وضع فيهما الشيخ قصصا كثيرا، ومواقف متعددة عن صبر العلماء وبذلهم وتضحيتهم، وقيمة الزمن عندهم، ما من شأنه أن يشحذ الهمم نحو هذه الآلة الرابعة (المداومة والإلحاح).

أشياخنا الشناقطة نفع الله بهم كانوا يبدأون ويفتتحون أي متنٍ يقرأ عليهم ببيتين يلخصان المنهج العلمي لدراسة العلوم.

كَتــبٌ، إجـــازةٌ، وحفـــظُ الرَّســـم   قـــراءةٌ، تـــدريسٌ، أخـــذ العلـــم
ومـــن يقـــدِّم رتبـــةً عـــن المحـــلّ   مـــنَ المراتـــبِ المـــرامَ لـــم ينـــلْ

وبيان البيتين هو التالي:

مراتب أخذ العلم: كتبٌ، ثم إجازةٌ، ثم حفظ الرسم، ثم قراءةٌ، ثم تدريس.

يعنون بالكَتب كتابة الجزء المقرر دراسته على الشيخ في الّلوح، وقديمًا لم تكن هناك كتب مطبوعة، فينقل الطالب الجزء الذي يريد دراسته من غيره. وبعدها ينتقل للمرحلة الثانية: (الإجازة)، ويقصدون بها إجازة الشيخ لما في اللوح، أي: تصحيحه حتى لا يحفظه الطالب وهو يحتوي على أخطاء، فترسخ في ذهنه. ثم ينتقل بعدها لحفظ الرسم، أي: حفظ هذا الجزء المكتوب المصحح، فإذا أتم ذلك، قرأه على الشيخ وحلَّ له ألفاظه، وبيّن له معانيه، فإذا انتهى من ذلك انتقل إلى مرحلة التدريس، وهي التكرار والمراجعة مع الأقران.

وهذه خطوات أساسية، ومنهجية علمية ضرورية، كما وصفها الشيخ ولد متالي ﷺ، ومن يقدّم رتبة عن المحل.

فكثير من طلبة العلم المعاصرين لا يعتنون بذلك، فنحن وإن أكرمنا الله تعالى في هذا العصر بالكتب المطبوعة التي أغنتنا عن الكتابة، وإن كنا نستجيز العلماء بعرض الكتب عليهم للتصحيح أثناء القراءة، فإن الرتبتين الأخريين لهما أهمية كبيرة، وهما: حفظ الرسم والتدريس.

أي أن الاستعداد المسبق للدرس بالتحضير والقراءة في الشروح والتمكن من المادة العلمية قبل القراءة على الشيخ مما يتهاون فيه كثير من الطلبة، فيجهدون أنفسهم أثناء الدرس، ويجهدون شيخهم أحيانا بالسؤال عن مسائل ستأتي في الدرس نفسه بعد عدة أسطر.

ثم يجهدون أنفسهم وشيخهم مرة أخرى إن هم تركوا المراجعة بعد الدرس، والمراجعة من الأهمية بمكان، إذ فيها تقرير وتأكيد وترسيخ لمضمون الدرس وما أخذه من العلم. فليس العلم بالحضور والفهم فقط دون المراجعة والتكرار.

لذلك وبناء على ما سبق أقدم هذه الإضاءات في هذه النقاط.

١. يكون الاستعداد للدرس بقراءة الجزء المقرر دراسته، وفهمه واستعيابه قدر الإمكان قبل الذهاب إلى الدرس، ويكون ذلك بقراءته أكثر من مرة حسب الاستطاعة، وقد ذكر بعض العلماء متحدثًا عن نفسه أنه كان يستعد بقراءة المتن وشرحه "بضع عشرة مرة" قبل قراءته على الشيخ.

٢. الاكتفاء في التحضير بقراءة شرح واحد، ولذلك فيما مضى من المدارج تم التأكيد على الكتب التي يعتمدها العلماء أو الطلاب دون غيرها، فإن قراءة أكثر من شرح قد يشتت الذهن، ولذلك يقال: قراءة كتاب مرتين خير من قراءة كتابين. أما الشروح الأخرى فإنها تكون لمزيد البحث والمراجعة، أو الاستزادة إن لم يكن الشرح يحتوي على المسألة المراد بحثها.

٣. كتابة الإشكالات الواردة عند التحضير، فقد تمر مسائل غامضة، أو مصطلحات جديدة، أو نحو ذلك مما يعرض للطالب ولا يجد الإجابة عنه، فيدون ذلك ويعرضه على الشيخ إن لم يتعرض للمسألة أثناء الشرح.

٤. في زماننا، يمكن الاستعانة المسبقة ببعض الشروح الصوتية أو المرئية للكتب، ففي الاستماع إليها قبل الدرس تهيئة وتمكين، يختصر كثيرا من الجهد.

٥. الأصل أن لكل فن مما سبق ذكره، وغيره كذلك من الفنون متن أو نظم ينصح بحفظه، ومن الطرق التي يمكن الاستعانة بها في الحفظ وترسيخ المحفوظ (التسجيل الصوتي) للنظم، وسماعه أثناء الذهاب والإياب والتنقل، فهو مجرَّب في الإعانة على سرعة الحفظ.

٦. الطريقة المثلى لترسيخ الحفظ بعد عون الله تعالى هي (التكرار)، فإن أي نظم يكتفى بترديده مرات قليلة، ثم يترك دون تكرار أو مراجعة سيتفلت غالبا.

لذلك ينصح بعض المجربين بأن يكرر المحفوظ نحوا من (٥٠ مرة) أو أكثر حسب المستطاع، وأن يتعاهد المحفوظ في الأسبوع الأول بتكراره أكثر من مرة، ثم بعد ذلك يخصص يوم لمراجعة المحفوظ القديم بالموازاة مع المحفوظ الجديد.

وهذا الأمر يحتاج إلى جلَد وصبر، وهكذا طلب العلم، فكثير من الطلاب الذي يحفظون منظومات لم يراجعوها في وقتها تراكمت عليهم محفوظات جديدة أثقلتهم عن مراجعة القديم.

٧. مما ينصح به العلماء عدم تكثير العلوم المدروسة في فترة واحدة، فإن تشتيت الذهن بتكثير العلوم يضيع الجميع، ومن المجرَّب أن الطالب إن وجّه ذهنه وطاقته نحو علمٍ أو علمين، وصار هذا العلم شغله في يومه وذهابه وإيابه، آخذا بلبابه، من شأنه أن يمكنه من مسائله ويعينه على إتقانه.

٨. أخيرًا، يشعر كثير من طلبة العلم بشيء من الإحباط حينما يدرسون علومًا ولا يتقنونها، وهذا أمر طبيعي من جهة النسيان الذي يعتري بني الإنسان، فليست الدراسة فقط كفيلة بإتقان تلك العلوم وحفظ مسائلها، ما لم يتبع ذلك إدمان النظر، وتكرير البحث والمراجعة في تلك العلوم، وكذلك من جهة أن العلوم أيضا تحتاج إلى بحث ومباحثة، ودرس ومدارسة، وهذا من شأنه أن يستنطق العقول، ويبعثها على النظر والبحث، ومن جميل ما يذكره علماء المغاربة قولهم: نحن لا نقول على من قرأت! وإنما: معَ منْ قرأتَ.

فليحرص طالب العلم على الصحبة الصالحة، من ذوي الهمم العالية والنفوس العليّة، فالإنسان قوي بإخوانه، وقد قال الإمام ابن عطاء الله: لا تصحبْ من لا يُنهضك حاله، ولا يدلك على الله مقاله.

كانت هذه أبرز المقترحات، وأهم المدارج العلمية التي رأيت أنها أنسب وأقرب، وهو اجتهاد شخصي متواضع، يفيد أمثالي من طلبة العلم الذين يرغبون في التبصُّر بمنهجية علمية، وخطة دراسية يسيرون عليه ويمضون في تطبيقها.

وأسأل المولى تعالى أن يستعملني في طاعته، وأن يوفقني لخدمة شريعته، وأن يعينني على مواصلة طلب العلم ومزيد البحث فيه، فالله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل..

وآخر دعوانا ﴿أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾..

المحتويات

الموقع الرسمي:

www.faqihnafsak.com

حسابات (فقّه نفسك) في وسائل التواصل الاجتماعي:

https://t.me/FaqihNafsak

@FaqihNafsak

/https://www.facebook.com/faqihnafsak

@FaqihNafsak